

صفات الخوارج

الدكتور/ سليمان بن صالح بن عبد العزيز الغصن
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة — كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ...

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران : ١٠٢]

﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ؕ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١]

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُضْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ؕ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٧٠-٧١] .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله . وخير الهدى هدى النبي ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار، وبعد :
فقد درج السلف الصالح - رحمهم الله - على تبين سبيل المحرمين ، والتحذير من مناهج المبتدعين ، وأوصاف الزائغين ، وقد قاموا بذلك نصرة لدين الله وأداء لواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل جعلوا الكلام في أهل البدع والتحذير من أوصافهم ومناهجهم أولى من نافلة الصلاة والصيام لأن نفع الصلاة والصيام قاصر على الشخص نفسه ونفع التحذير متعدٍ لغيره .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في سياق ذكره لأمثلة من النصيح للدين قال :

"ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة ، أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة ، فإنَّ بيان حالهم ، وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين ، حتى قيل للإمام أحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف ، أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع ؟ فقال : إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه ، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين ، هذا أفضل . فبيِّن أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله ، إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهجه وشرعته ، ودفع بغى هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين وكان فساد أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب ، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً ، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء"^(١).

وإذا كان تحذير عامة المسلمين من أوصاف ومناهج المبتدعين مهماً على جهة العموم، فإن كشف وإظهار صفات الخوارج من أهمها، لأن الفتنة بهم أعظم وأشد لما عندهم من كثرة العبادة والزهد، ورفع راية الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونحو ذلك مما يكون سبباً في انخداع الجهال بهم ، والتأثر بمنهجهم ورأيهم .

لذلك ولغيره رأيت أهمية أفراد هذا الموضوع بالبحث وتحلية أهم صفات الخوارج التي تميزوا بها مستقرئاً في ذلك النصوص الشرعية والحوادث التاريخية ، أملاً في أن يكون نشرها مُعيناً في التحذير من منهجهم ومن الاغترار بمسلكهم .

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٣١/٢٨ - ٢٣٢ .

هذا وقد جعلته في مقدمة وتمهيد وعشرة مباحث، يحمل عنوان كل مبحث صفة من صفاتهم .

وأسأل الله تعالى الهداية والسداد ، والتوفيق لما يحبه ويرضاه ، وأن يتم على عباده المؤمنين نعمه ، ويوزعهم شكرها ، وأن يعينهم على سلوك طريق السنة، والبعد عن طرق البدعة والفتنة ، إنه على كل شيء قدير، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تمهيد:

قبل الكلام عن صفات الخوارج أحب أن أنبه إلى بعض الأمور المهمة في ذلك .

أولاً: أن هناك فرقاً بين الصفات والعقائد فليس هناك تلازم بين الأمرين وإن كان قد توجد علاقة بينهما .

والصفات التي سأذكرها يظهر - عند التأمل - أنها كانت سبباً في عقائدهم، أو أنها نتاج لها ، وأثر عنها ، ويستفيد المطلع عليها الحذر منها، والتحذير من عواقبها ، كما يمكن أن يجعلها قرينة تساعد في الاستدلال على أصحابها وأشباههم .

ثانياً : أنه لا يلزم من وجود صفة من صفات الخوارج في شخص أن يكون منهم ، أو يرمى بعقيدتهم ، وإنما يكون فيه شبه بهم وخصلة من خصائصهم ، ولا يكون منهم حتى يعتقد عقيدتهم التي تميزهم عن غيرهم ، وأبرزها تكفيرهم مرتكب الكبيرة ، وخروجهم على أئمة المسلمين .

ثالثاً: أنه لا يلزم أن تجتمع كل هذه الصفات التي سأذكرها في كل واحد منهم ، وإنما توجد في عامتهم . وقد تكون بعض هذه الصفات ليست موجودة في بعضهم .

رابعاً: لن أستطرد في ذكر كل ما جاء من وصفهم، مما قد لا يكون وصفاً مميزاً لهم كلهم ، أو لمنهجهم عن غيرهم ، ومن ذلك ما جاء من خروجهم من قبل المشرق، وأن سيماهم التحليق كما في الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : " يخرج ناس من قبل المشرق ، ويقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ثم لا

يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه: قيل : ما سيماهم ؟ قال : سيماهم التحليق ، أو قال : التسبيد ... " (١) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن سيما التحليق :
" وهذه السيمة سيما أولهم ، كما كان ذو الثدية ، لا أن هذا وصف لازم لهم " (٢) .

فقد يوجد منهم من لا يخلق ، وقد يوجد من يلزم الحلق عادة وليس منهم .

كما لم يكن من مقاصد البحث ذكر أحوالهم الغيبية التي لا يمكن للنظر أن يقطع بتحققها في أعيان الأفراد الذين يشاهدونهم في سماهم ، أو لا تفيده في معرفتهم وتمييزهم عن غيرهم في الحياة الدنيا ، وذلك مثل ما جاء في الخبر من أنهم كلاب النار وشر قتلى تحت أديم السماء . كما في الحديث الذي رواه أبو أمامة الباهلي لما رأى رؤوس الخوارج منصوبة دمعت عيناه وقال: كلاب النار - ثلاثاً - شر قتلى تحت ظل السماء - ثلاثاً - وخير قتلى تحت ظل السماء من قتلوه .

وعندما سئل عن قوله هذا : أهو من رأيه أم سمعه من رسول الله ﷺ قال :
" لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً أو أربعاً - حتى عدّ سبعاً - ما حدثكموه .

ولما سئل عن سبب بكائه ؟ قال : " رحمة لهم أو من رحمتهم " (٣) .

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد ، باب قراءة الفاجر والمنافق ... برقم ٧٥٦٣ ، ومسلم في كتاب الزكاة برقم ١٤٩ .

(٢) مجموع الفتاوى ٤٩٧/٢٨ .

(٣) جاء هذا الأثر بعدة ألفاظ متقاربة عند الإمام أحمد في مسنده ٢٥٠/٥ ، والترمذي في جامعه ، كتاب تفسير القرآن برقم ٣٠٠٠ وحسنه ، وابن ماجه في سننه ، كتاب السنة برقم ١٧٦ =

خامساً : حرصت على ذكر أهم وأبرز ما وقفت عليه من صفات الخوارج
- مما يفيد القارئ الكريم - مصحوبة بشواهدها، سواء من الأدلة الشرعية أو
الحوادث التاريخية .
أما ما لم أقف فيه على شاهد أو لم أر أنه صفة فارقة أو مميزة أو مهمة فلم
أذكره .

المبحث الأول : حادثة السن :

جاء وصف الخوارج في حديث النبي ﷺ بأنهم أحدث الأسنان كما في حديث علي بن أبي طالب ؓ أنه قال : " إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ حديثاً فوالله لأن آخر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه ، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

سيخرج قوم في آخر الزمان أحدث الأسنان، سفهاء الأحلام"^(١). الحديث.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن المراد بآخر الزمان في هذا الحديث أي زمان خلافة النبوة ، وأيد ذلك بما جاء في حديث سفينة أن النبي ﷺ قال : " الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً "^(٢) . قال : " وكانت قصة الخوارج وقتلهم بالنهروان في أواخر خلافة علي سنة ثمان وعشرين بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدون الثلاثين بنحو سنتين "^(٣) .

ثم ذكر أن معنى أحداث : " جمع حَدَثَ بفتحيتين ، والحديث صغير السن " ومعنى الأسنان: " جمع سن، والمراد به العمر ، والمراد أنهم شباب "^(٤). وهذا الوصف لهم، أغلبي لأن في الخوارج شيوخاً كباراً ، والذي يظهر من سبب كثرة حدوث الأسنان فيهم ، ما يصاحب هذه السن غالباً من قلة الوعي والفقه في الدين ، مع الحماسة والاندفاع والصرامة التي تجدها لها موطناً لدى الشباب ويقصر عنها كثير من الشيوخ .

(١) رواه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين، باب قتل الخوارج والملحدین بعد إقامة الحجة عليهم برقم ٦٩٣٠ .

(٢) رواه بنحوه الإمام أحمد في مسنده ٢٢٠/٥ وأبو داود في السنن برقم ٤٦٤٦، وابن أبي عاصم في السنة برقم ١١٨٥ وصححه الألباني في تحقيقه ، انظر السنة لابن أبي عاصم ٥٦٤/٢ .

(٣) فتح الباري ٣٥٥/١٢ .

(٤) فتح الباري ٣٥٥/١٢ - ٣٥٦ وانظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٣٨/٧ .

المبحث الثاني :الاستعجال والسفه في الرأي :

امتاز الخوارج بالعجلة والسفه ورداءة العقل وفساد الرأي ، وهذا مصداق ما جاء في الحديث الصحيح من وصفهم بأنهم " سفهاء الأحلام " أي " صغار العقول " (١) .

يقول الحافظ ابن حجر في بيان معنى وصف النبي صلى الله عليه وسلم للخوارج بأنهم سفهاء الأحلام قال : " جمع حِلْم بكسر أوله والمراد العقل ، المعنى أن عقولهم رديئة " (٢) .

ومما يدل على ذلك تاريخهم المليء بالخروج على أئمة الإسلام وترك عبدة الأوثان (٣) .

وهذا الخروج منهم تراه يحصل لأمر صغير وربما تافهة، في مقابل ما يحصل بسبب خروجهم من فتن وتفرق واستتراف دماء المسلمين وضعفهم وفشلهم وذهاب ريحهم، الأمر الذي يجعلهم مطمئناً لأعدائهم .

وربما كان ما خرجوا من أجله من الأمور التي يرونها مخالفة للإسلام، ربما لم يكن فيه مخالفة في الحقيقة بل كان ذلك أمراً مشروعاً أو سائغاً عند من فعله يعذر فيه ولا يميز الخروج عليه ، ولكنهم لعجلتهم وفساد رأيهم وضعف عقولهم يبادرون إلى الخروج دون تثبت ولا تفقه ، كما كان من حالهم في خروجهم على علي رضي الله عنه مثلاً .

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ١٣٨/٧ .

(٢) فتح الباري ٣٥٦/١٢ .

(٣) انظر الخوارج في العصر الأموي ص ١٠٨ - ١٨٤، الخوارج للدكتور غالب عواجي ص ١٢٥

المبحث الثالث: التنطع والغلو في الأمر :

عرف عن الخوارج أنهم أهل عبادة وورع ، وليس في أهل الأهواء أصدق ، ولا أعبد منهم^(١) ، وقد اشتهر عنهم كثرة عبادتهم ، من صلاة وصيام وقراءة للقرآن ، وهم أكثر من الصحابة رضي الله عنهم في ذلك ، كما وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : " يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء " ^(٢) .

وفي رواية " يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم " ^(٣) .

لكنهم بالغوا في هذا الأمر حتى وصلت بهم الحال إلى الغلو والتنطع والخروج عن سنة رسول الله ﷺ ، واحتقار وتكفير من خالفهم من الأمة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" ولا ريب أن الخوارج كان فيهم من الاجتهاد في العبادة والورع ما لم يكن في الصحابة كما ذكره النبي ﷺ ، لكن لما كان على غير الوجه المشروع أفضى بهم إلى المروق من الدين " ^(٤) .

ومن شواهد ذلك أنه لما ذهب ابن عباس رضي الله عنهما لمناظرتهم ورأى شدة اجتهادهم في العبادة قال .. " فأتيتهم فدخلت على قوم لم أر أشد اجتهاداً منهم ، أيديهم كأثما ثفن الإبل ، ووجوههم معلّمة من آثار السجود " ^(٥) .

(١) انظر منهاج السنة ١٥٧/٥ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الزكاة حديث رقم ١٠٦٦ .

(٣) رواه البخاري في كتاب استنابة المرتدين والمعاندين وقتالهم برقم ٦٩٣٣ .

(٤) الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢٥٨/١ - ٢٥٩ ، وانظر مجموع الفتاوى ٤٠٤/٢٨ .

(٥) رواه الطبراني في الكبير برقم ١٠٥٩٨ ، ٣١٣/١٠ تحقيق حمدي السلفي .

ولما رأوا على ابن عباس رضي الله عنهما حلة ناظروه في لبسه إياها فاحتج عليهم بقوله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [سورة الأعراف آية: ٣٢] ^(١).

المبحث الرابع: قلة الفقه في الدين :

إن من أبرز سمات الخوارج قلة الفقه في الدين، فهم على كثرة عبادتهم وقراءتهم للقرآن لا يكادون يفقهون شيئاً ، ولهذا جاء وصفهم في حديث النبي ﷺ بأنهم " يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم - وفي رواية - حلوقهم أو حناجرهم " ^(٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في بيان بدعة الخوارج :
" إنما هي من سوء فهمهم للقرآن ، لم يقصدوا معارضته، لكن فهموا منه ما لم يدل عليه ، فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب " ^(٣).

فالخوارج ليس عندهم فقه في الدين ، وإنما لديهم معلومات قليلة تمسكوا بها ونبذوا وأنكروا ما وراءها من العلم الذي خفي عليهم أو لم تحتمله أفهامهم ، ولهذا نجد أوائلهم أنكروا على الرسول ﷺ قسمته لما آثر بعض السادة في القسمة لتألفهم ، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : " بينما النبي ﷺ يقسم جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي فقال : اعدل يا رسول الله، فقال : ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل " ^(٤).

(١) انظر البداية والنهاية ٥٦٩/١٠ .

(٢) رواه البخاري في كتاب : استتابة المرتدين والمعاندين وقتلهم ، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم برقم ٦٩٣١ ، وباب من ترك قتال الخوارج للتأليف ولئلا ينفر الناس عنه، برقم ٦٩٣٤ ، ومسلم في كتاب الزكاة برقم ١٠٦٣ .

(٣) الفرقان بين الحق والباطل ٣٠/١٢ ضمن مجموع الفتاوى .

(٤) رواه البخاري في كتاب : استتابة المرتدين والمعاندين وقتلهم ، باب من ترك قتال الخوارج للتأليف ولئلا ينفر الناس عنه، برقم ٦٩٣٣ ، ومسلم في كتاب الزكاة برقم ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ .

فهذا القائل افتقد فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد ، ولم يفقه في العطاء إلاّ أنه لذوي الحاجات فأنكر ما عدا ذلك .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ... مبيناً جهل الخوارج في هذه المسألة :

"وهم قوم لهم عبادة وورع وزهد ، لكن بغير علم ، فافتضى ذلك عندهم أن العطاء لا يكون إلاّ لذوي الحاجات ، وأن إعطاء السادة المطاعين الأغنياء لا يصلح لغير الله بزعمهم ، وهذا من جهلهم - فإنّ العطاء إنما هو بحسب مصلحة دين الله ، فكلما كان لله أطوع ولدين الله أنفع كان العطاء فيه أولى ، وعطاء محتاج إليه في إقامة الدين، وقمع أعدائه وإظهاره وإعلائه أعظم من إعطاء من لا يكون كذلك ، وإن كان الثاني أحوج" (١) .

ومما يدل على جهلهم وقلة فقههم إنكارهم على علي عليه السلام قضية التحكيم وتناديهم بالخروج عليه لأنه - بزعمهم - حكم بغير ما أنزل الله، ومن حكم بغير ما أنزل الله فإنه كافر ، فحث بعضهم بعضاً على مجاهدة المخالفين لهم حتى يطاع الرحمن الرحيم (٢) !! .

ومما جاء من آرائهم الدالة على جهلهم ، ورد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عليهم، ما رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن شداد في ذكر قصة الخوارج قال : ثم إنهم عتبوا عليه - أي على علي بن أبي طالب عليه السلام - فقالوا : انسحلت من قميص ألبسكه الله تعالى ، واسم سمالك الله تعالى به ، ثم انطلقت فحكمت في دين الله ، فلا حكم إلاّ لله تعالى.

(١) مجموع الفتاوى ٥٨٠/٢٨ - ٥٨١ .

(٢) انظر تاريخ الطبري ١١٤/٣ - ١١٥ .

فلما بلغ علياً ما عتبوا عليه ، وفارقوه عليه ، فأمر مؤذناً فأذن : أن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجل قد حمل القرآن ، فلما أن امتلأت الدار من قراء الناس ، دعا بمصحفٍ إمام^(١) عظيم ، فوضعه بين يديه ، فجعل يقلبه بيده ويقول: أيها المصحف حَدِّثْ الناس ، فناداه الناس فقالوا : يا أمير المؤمنين ما تسأله عنه إنما هو مداد في ورق ، ونحن نتكلم بما رُؤينا منه ، فماذا تريد ؟ قال : أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله عزَّ وجلَّ يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ [سورة النساء آية ٣٥] فأمة محمد ﷺ أعظم دماً وحرمة من امرأة ورجل ، ونقموا عليَّ أن كاتب معاوية : كتب علي بن أبي طالب ، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ، ونحن مع رسول الله ﷺ بالحدبية ، حين صالح قومه قريشاً فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل : لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: كيف نكتب ؟ فقال : اكتب باسمك اللهم فقال رسول الله ﷺ : فاكتب محمد رسول الله ، فقال : لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك، فكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشاً . يقول الله تعالى في كتابه: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ [سورة الأحزاب آية ٢١] .. " (٢) .

(١) المصحف الإمام هو الأصل المعتمد الذي تنسخ عنه المصاحف ، ولهذا جاء أن عثمان بن عفان

- رضي الله عنه- أمر أن يجمع القرآن في مصحف إمام وأن تنسخ منه مصاحف يبعث بها إلى

أقطار الإسلام . انظر مناهل العرفان للزرقاني ٣٠/١ .

(٢) رواه أحمد في المسند ٨٦/١ . وصحح إسناده الحافظ ابن كثير كما في البداية والنهاية ٥٦٨/١٠ .

وقد تعجب ابن كثير - رحمه الله - من صنيعهم وجهلهم فقال : " وهذا الضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم ، فسبحان من نوع خلقه كما أراد ، وسبق في قدره ذلك ، وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج : إنهم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٣﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِفَايَتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فَلَا تُقِيمُ هُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنَّا ﴾ [سورة الكهف آية ١٠٣-١٠٥] والمقصود أن هؤلاء الجهلة الضلال والأشقياء في الأقوال والأفعال ، اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين - إلى أن قال - يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضي رب الأرض والسماوات ، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر والذنوب الموبقات ، والعظائم ، والخطيئات ، وأنه مما يزينه لهم إبليس وأنفسهم التي هي بالسوء أمارات " (١) .

المبحث الخامس : التعصب الأعمى واتباع الهوى والغرور والإعجاب بالرأي :

إن الناظر في تاريخ الخوارج يجد تعصباً أعمى وإعجاباً بالرأي ناتجاً عن اتباعهم لأهوائهم وإعراضهم عن الحق الذي مع خصومهم ، فهم قوم مغررون بآرائهم ، ومنافحون عن باطلهم .

ولهذا لما قتل الخوارج رسول علي بن أبي طالب إليهم وهو الحارث بن مرة العبدى ، وسفكوا دماء بعض المسلمين ، بعث إليهم " أن ادفعوا إلينا قتلة

(١) البداية والنهاية ٥٨٠/١٠ - ٥٨١ .

إخواننا منكم لنقتلهم بهم ، ثم إنا تاركوكم وذاهبون عنكم إلى الشام ، ثم لعل الله أن يُقْبَلَ بقلوبكم ويردكم إلى خير مما أنتم عليه ، فبعثوا إليه يقولون : كلنا قتل إخوانكم ، ونحن مستحلون دماءكم وأموالكم ، فتقدم إليهم قيس بن سعد بن عباد ، فوعظهم فيما هم مرتكبوه من الأمر العظيم ، والخطب الجسيم ، فلم ينفع ذلك فيهم ، وكذلك فعل أبو أيوب الانصاري ، أثبهم ووبخهم فلم ينجع فيهم ، وتقدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إليهم ، فوعظهم وخوفهم وحذرهم وأنذرهم وتهددهم وتوعدهم ، وقال : إنكم أنكرتم عليّ أمراً أنتم دعوتوني إليه ، وأبيتم إلاّ إياه ، فنهيتكم عنه ، فلم تقبلوا ، وها أنا وأنتم ، فارجعوا إلى ما خرجتم منه ، ولا تركبوا محارم الله فإنكم قد سولت لكم أنفسكم أمراً تقتلون عليه المسلمين ، والله لو قتلتم عليه دجاجة لكان عظيماً عند الله ، فكيف بدماء المسلمين ؟! فلم يكن لهم جواب إلاّ أن تبادروا وتنادوا فيما بينهم أن لا تخاطبوهم ولا تكلموهم .. " (١) .

وقد جاء عن علي رضي الله عنه أنه بعد مقاتلتهم جعل " يمشي بين القتلى منهم ويقول : بؤساً لكم ، لقد ضرركم من غركم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، ومن غرهم ؟ قال : الشيطان ، وأنفس بالسوء أماره غرهم الأمان ، وزينت لهم المعاصي ، ونباأهم أنهم ظاهرون " (٢) .

ومن دلائل تعصبهم واتباعهم لأهوائهم أنهم سألوا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقالوا له : إن كان عليّ على حق لم يشكك فيه ، وحكم مضطراً ، فما باله حيث ظفر لم يسب ؟ فقال لهم ابن عباس : قد سمعتم الجواب في التحكيم فأما قولكم في السبأ أفكنتم ساين أمكم عائشة ؟

(١) البداية والنهاية ٥٨٦/١٠ - ٥٨٧ .

(٢) البداية والنهاية ٥٨٨/١٠ .

فوضعوا أصابعهم في آذانهم وقالوا : أمسك عنا غُربَ لسانك يا ابن عباس فإنه طُلُقْ ذُلُقْ غواص على وضع الحجّة "(١) .

ومن غرورهم وإعجابهم برأيهم تلك المناظرة التي حصلت من زرعة بن البرج الطائي وحرقوق بن زهير السعدي ، وهما خارجيان ، حيث قالوا لعلّي رضي الله عنه : " لا حكم إلّا لله ، فقال علي : نعم لا حكم إلّا الله ، فقال له حرقوق : تب إلى الله من خطيئتك وارجع عن قضيتك ، واذهب بنا إلى عدونا حتى نقاتلهم حتى نلقى ربنا ، فقال علي : قد أردتكم على ذلك فأبيتم ، وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتاباً وعهوداً ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾ [سورة النحل آية : ٩١] فقال له حرقوق : ذلك ذنب ينبغي أن تتوب منه . فقال علي : ماهو بذنب ولكنه عجز من الرأي ، وقد تقدمت إليكم فيما كان منه ، وهيتكم عنه ، فقال له زرعه بن البرج : أما والله يا علي لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله لأقاتلنك، أطلب بذلك وجه الله ورضوانه ، فقال له : تَبّاً لك ما أشقاك ، كأني بك قتيلا تسفي عليك الريح ، قال : وددت أن قد كان ذلك ، فقال له علي : إنك لو كنت محقاً كان في الموت تعزية عن الدنيا ، ولكن الشيطان قد استهواكم ، فخرجنا من عنده يحكمنا أمرهما وفشى فيهم ذلك ، وجاهرُوا به الناس ، وتعرضوا لعلّي في خطبه وأسمعوه السب والشتم والتعريض بآيات من القرآن ... "(٢) .

(١) الكامل للمبرد ٩٧٦/٣ .

(٢) البداية والنهاية ٥٧٨/١٠ .

بل إن نافع بن الأزرق كفر علياً ﷺ وزعم أن الله تعالى أنزل في شأنه قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ [سورة البقرة آية: ٢٠٤] وصوب عبد الرحمن بن ملجم وقال: إن الله تعالى أنزل في شأنه: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة آية: ٢٠٧]^(١) .

ومن أوضح دلائل اتباعهم لأهوائهم أن نجدة بن عامر تولى أصحاب الحدود من موافقيه وحرم البراءة منهم ، وقال : لعل الله يعفو عنهم ، وإن عذبهم ففي غير النار ثم يدخلهم الجنة ، وزعم أن النار يدخلها من خالفه في دينه^(٢) .

المبحث السادس : سوء الظن :

الخوارج قوم ساء ظنهم بعباد الله المؤمنين فصاروا يحملون أقوالهم وأفعالهم على أسوأ المحامل ، ولا يثقون بأي مسلم على غير مذهبهم ، بل يكرهون كل من خالفهم ، وربما سعوا في إيذائه أو القضاء عليه .

فمما يدل على سوء ظنهم بغيرهم أن أولهم أساء الظن برسول الله صلى الله عليه وسلم واتهمه في قسمته بأنه ما أراد بها وجه الله^(٣) .

ومما يشهد لتأصل هذه الخصلة عندهم أنه لما جاء وقت اجتماع الحكمين بدومة الجندل "بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأربعمائه رجل مع أبي موسى الأشعري وجعل معهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يصلي بهم

(١) انظر الملل والنحل ١/١٢٠ .

(٢) انظر الملل والنحل ١/١٢٤ ، الفرق بين الفرق ص ٨٩ .

(٣) رواه مسلم في كتاب الزكاة برقم ١٠٦٢ .

ويلي أمرهم ، كما بعث معاوية عمرو بن العاص رضي الله عنهما في أربعمائة رجل من أهل الشام " فكان معاوية إذا كتب إلى عمرو جاء الرسول وذهب لا يدري بما جاء به ، ولا بما رجع به ، ولا يسأله أهل الشام عن شيء وإذا جاء رسول علي جاؤوا إلى ابن عباس فسألوه ما كتب به إليك أمير المؤمنين فإن كتمهم ظنوا به الظنون فقالوا : ما نراه كتب إلّا بكذا وكذا ، فقال ابن عباس أما تعقلون أما ترون رسول معاوية يجيء لا يعلم بما جاء به ، ويرجع لا يعلم ما رجع به ، ولا يسمع لهم صياح ولا لفظ ، وأنتم عندي كل يوم تظنون الظنون " (١) .

بل لقد بلغ بهم سوء الظن إلى أن يمتحنوا أتباعهم الذين يقصدون عسكرهم ويقولون بأنهم منهم ، فلا يرضون منهم ذلك حتى يدفعوا إلى الواحد منهم أسيراً من مخالفيهم ، ويأمره بقتله فإن قتله صدقوه في دعواه أنه منهم ، وإن لم يقتله قالوا : هذا منافق ومشرک ، وقتلوه (٢) .

المبحث السابع : غلظتهم وسعيهم في قتل من خالفهم من المسلمين:

عاث الخوارج في الأرض فساداً وأخذوا في تقتيل عباد الله المؤمنين الذين لا يوافقونهم على بدعتهم ، حتى إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما أراد أن يسير لمواجهة أهل الشام أشار عليه الناس أن يبدأ بقتال هؤلاء الخوارج الذين لا يرقبون في مؤمن إلّا ولا ذمة ، فإذا فرغ منهم ساروا معه إلى الشام وهم آمنون من شرهم .

قال الحافظ ابن كثير :

(١) تاريخ الطبري ١١١/٣ ، وانظر الكامل لابن الاثير ١٦٧/٣ .

(٢) انظر الفرق بين الفرق ص ٨٣ .

" فاجتمع الرأي على هذا ، وفيه خيرة عظيمة لهم ولأهل الشام أيضاً ، إذ لو قووا هؤلاء لأفسدوا الأرض كلها عراقاً وشاماً ولم يتركوا طفلاً ولا طفلة ، ولا رجلاً ولا امرأة ، لأن الناس عندهم قد فسدوا فساداً لا يصلحهم إلاّ القتل جملة " (١) .

وقد خطب المهلب الناس أيام قتاله للخوارج فقال :
" يا أيها الناس إنكم قد عرفتم مذهب هؤلاء الخوارج ، وإنهم إن قدروا عليكم فتنوكم في دينكم ، وسفكوا دماءكم ... " (٢) .
وذكر كُتّاب الفرق عن نافع بن الأزرق أنه استباح قتل أطفال المخالفين له ونسائهم (٣) .

ويذكر المبرد في سياقه لإحدى وقائعهم أنهم لما طال عليهم المقام: "انصرفوا لا يعمرون بقرية بين أصفهان والأهواز إلاّ استباحوها وقتلوا من فيها " (٤) .
وأخبارهم في هذا كثيرة يعرفها من قرأ تاريخهم وسمع بأخبارهم .
والخوارج في جملتهم أعراب أجلاف ليس لديهم منطق لطيف ، ولا رأي حصيف ، وليس عندهم عطف ولا لين ، ولا تصرف حكيم ، بل عرف عنهم غلظتهم وفظاظتهم وجفاؤهم ، فأولهم لم يتأدب مع الرسول ﷺ بل اتهمه في قسمته ، ثم إنهم لم يقدرُوا لصحابي صحبته ، ولم يراعوا لشيخ كبره ، ولا لصبي صغره ، ولا لامرأة ضعفها وأنوثتها ، بل عاثوا في الأرض فساداً لا يرقبون في مؤمن إلاّ ولا ذمة .

(١) البداية والنهاية ٥٨٤/١٠ - ٥٨٥ .

(٢) الكامل للمبرد ١٠٦٤/٣ .

(٣) انظر الفرق بين الفرق ص ٨٤ ، الملل والنحل ١٢١/١ .

(٤) الكامل للمبرد ١٠٩٢/٣ .

فقد مهدوا - أولاً - لقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وذلك بتجرئة الناس عليه حيث أظهروا سبه ، وهددوه ، ونالوا منه ، بل حصوه وهو يخطب حتى صرع من المنبر مغشياً عليه وشُج ، فطمع فيه أجلاف الناس وأخلاطهم ، إلى أن انتهى الأمر بقتله رضي الله عنه ^(١).

وكذا قتلوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ^(٢) بل فاخروا بذلك حتى قال عمران بن حطان الخارجي في عبد الرحمن بن ملجم الخارجي الذي قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

ياضربة من تقي ما أراد بها إلا ليلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره حيناً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا
فرد عليه محمد بن أحمد الطيب بقوله :

ياضربة من غدور صار ضاربها أشقى البرية عند الله إنسانا
إذا تفكرت فيه ظلت ألغنه وألعن الكلب عمران بن حطانا ^(٣)
ومن الحوادث التي تبين غلظتهم وجفاءهم ما فعلوه بعبد الله بن خباب وأم ولده ، فقد روى الإمام أحمد بسنده عن رجل من عبد القيس كان مع الخوارج ثم فارقه ، قال : دخلوا قرية ، فخرج عبد الله بن خباب ذعراً يجر رداءه ، فقالوا : لم ترع ؟ قال والله لقد رعتموني . قالوا : أنت عبد الله بن خباب صاحب رسول الله ﷺ قال نعم : قال : فهل سمعت من أبيك حديثاً يحدثه عن رسول الله ﷺ تحدثناه ؟ قال : نعم : سمعته يحدث عن رسول الله ﷺ أنه ذكر

(١) انظر تاريخ الطبري ٤٥٦/٢ - ٦٧٨ ، الكامل لابن الأثير ٧٥/٣ - ٩٠ ، البداية والنهاية ١٠ /

٢٨١ - ٢٨٦ ، ٣٠٥/١٠ - ٣١٩ .

(٢) انظر الكامل لابن الأثير ١٩٤/٣ - ١٩٧ .

(٣) انظر الكامل للمبرد ٨٩٧/٣ - ٨٩٨ .

فتنة ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، قال : فإن أدركت ذاك ، فكن عبد الله المقتول ... قال أيوب ولا أعلمه إلا قال : ولا تكن عبد الله القاتل ، قالوا : أنت سمعت هذا من أبيك يحدثه عن رسول الله ﷺ ، قال : نعم . قال : فقدموه على ضفة النهر ، فضربوا عنقه فسال دمه كأنه شراك نعل ما ابذقر^(١) ، وبقروا أم ولده عما في بطنها^(٢) .

ويذكر الطبري في حوادث سنة ثمان وستين أن الخوارج :
" شنوا الغارة على أهل المدائن يقتلون الولدان والنساء والرجال ويبقرون الحبالى ... فأقبلوا إلى ساباط فوضعوا أسيافهم في الناس ، فقتلوا أم ولد لربيعة ابن ماجد ، وقتلوا بُنانة ابنة أبي يزيد بن عاصم الأزدي ، وكانت قد قرأت القرآن ، وكانت من أجمل الناس ، فلما غشوها بالسيوف قالت : ويحكم ، هل سمعتم بأن الرجال كانوا يقتلون النساء ، ويحكم تقتلون من لا ييسط إليكم يداً ، ولا يريد بكم ضرراً ، ولا يملك لنفسه نفعاً ، أتقتلون من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين؟! فقال بعضهم: اقتلوه وقال رجل منهم: لو أنكم تركتموها فقال بعضهم : أعجبك جمالها يا عدو الله قد كفرت وافتنت ، فانصرف الآخر عنهم وتركهم ، فظننا أنه فارقهم ، وحملوا عليها فقتلوها ... " ^(٣).

وذكر ابن الأثير أن الخوارج " أخذوا رجلاً اسمه سماك بن يزيد ومعه بنت له فأخذوها ليقتلوه فقالت لهم : يا أهل الإسلام إن أبي مصاب فلا تقتلوه ، وأما

(١) ما ابذقر : أي لم ينفرك أجزاءه فيمتزج به ، ولكن مر فيه مجتمعاً متميزاً عنه . انظر حاشية المسند

٥٤٤/٣٤ ط ١ مؤسسة الرسالة .

(٢) رواه أحمد في مسنده ١١٠/٥ . ورجاله ثقات رجال الشيخين غير رجل مبهم فإن كان ثقة

فالإسناد صحيح ، انظر حاشية المسند طبع مؤسسة الرسالة ٥٤٢/٣٤ .

(٣) تاريخ الطبري ٤٩٩/٣ .

أنا فجارية ، والله ما أتيت فاحشة قط ، ولا آذيت جارة لي ، ولا تطلعت ولا تشرفت قط ، فلما أرادوا قتلها سقطت ميتة فقطعوها بأسيا فهم ، وبقي سماك معهم حتى أشرفوا على الصراة فاستسلم أهل الكوفة ، فناداهم اعبروا إليهم فإنهم قليل خبيث ، فضربوا عنقه وصلبوه" (١) .

ومما يدل على جفائهم وفضاظتهم أن أحد الخوارج قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو في الصلاة : ﴿ لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [سورة الزمر آية : ٦٥] فقرأ علي : ﴿ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [سورة الروم آية : ٦٠] .

وقام إلى علي رضي الله عنه يوماً وهو يخطب أحد الخوارج فقال يا علي أشركت في دين الله الرجال ولا حكم إلا لله ، فتنادوا من كل جانب : لا حكم إلا لله لا حكم إلا لله" (٢) . وهذه العبارات التي أطلقوها بالأسلوب الذي انتهجوه فيها فظاظة ظاهرة وجفاء واضح .

وغير ذلك من القصص الكثيرة التي تبين جفاء الخوارج وغلظتهم (٣) .

المبحث الثامن: الخصومات والمراء والجدل :

الخصومة والمراء من سمات أهل البدع ، وهذا مصداق قول النبي ﷺ : " ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل " (٤) .

(١) الكامل لابن الأثير ٣/ ٣٩٠ - ٣٩١ وانظر تاريخ الطبري ٣/ ٥٠٠ .

(٢) انظر البداية والنهاية ١٠/ ٥٦٩ - ٥٧٠ .

(٣) انظر الكامل لابن الأثير ٣/ ٣٨٤ .

(٤) رواه الترمذي في كتاب التفسير ، سورة الزخرف ٥/ ٥٥ - ٥٦ ، وقال: حسن صحيح ، وابن

ماجه في مقدمة سننه باب اجتناب البدع والجدل برقم ٤٨ ، وأحمد ٥/ ٢٥٢ ، والحاكم في

كتاب التفسير ٢/ ٤٤٨ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وصححه الذهبي في تلخيصه ،

وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢/ ٩٨٤ .

وكثرة المراء والجدال دليل على عدم الرسوخ في العلم ، كما أنها دليل على الغرور والإعجاب بالرأي .

وقد كانت هذه السمة ظاهرة في الخوارج ، كما قال أبو العباس الميرد :
" وكان في جملة الخوارج لدد واحتجاج ، على كثرة خطبائهم وشعرائهم ... " (١) .

ومجادلات الخوارج للخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ مشهورة في كتب التاريخ ، وكذا مناظراتهم لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

واشتهرت سؤالات نافع ابن الأزرق لعبد الله بن عباس ، وقد كان نافع متوغلاً ومتعمقاً في الجدال (٢) ، حتى إنه " أتى ابن عباس يوماً فجعل يسأله حتى أمّله ، فجعل ابن عباس يظهر الضجر " (٣) .

ولقد أحس بعض الخوارج بظهور هذه الصفة ورسوخها فيهم وأثرها في تفرقهم فأنشأ يقول :

قل للمحلين قد قرت عيونكم	بفرقة القوم والبغضاء والهرب
كنا أناساً على دين فغيرنا	طول الجدال وخط الجدل باللعب
ما كان أغنى رجالاً ضل سعيهم	عن الجدال وأغناهم عن الخطب (٤)

المبحث التاسع : المفارقة والتفرق:

الخوارج قوم يخرجون على أئمة المسلمين، ويفارقون جماعة المسلمين، وهذه نتيجة طبيعية لمن يحكم هواه ، ويخرج عن توجيهات الإسلام، والخوارج من

(١) الكامل للميرد ٩٥٤/٣ .

(٢) انظر المرجع السابق ٩٥٧/٣ .

(٣) انظر المرجع السابق ٩٦٥/٣ .

(٤) الكامل للميرد ١١٥٢/٣ ، وانظر الخوارج للدكتور غالب عواجي ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

أحق الناس بهذا الوصف ، كيف وقد قال فيهم الرسول ﷺ: "يمرقون من الإسلام - وفي رواية من الدين - كما يمرق السهم من الرمية"^(١) . فهم مفارقون للمجتمع المسلم بأقوالهم وأفعالهم وعقائدهم .

يقول الحافظ ابن كثير في معرض ذكره لبدايات الخوارج :

" إن هؤلاء الجهلة الضلال ، والأشقياء في الأقوال والأفعال اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين ... - إلى أن قال - فخرجوا من بين الآباء والأمهات ، والأعمام والعمات ، وفارقوا سائر القربات ، يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضي رب الأرض والسماوات ، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر والذنوب الموبقات ، والعظائم والخطيئات، وأنه مما يزين لهم إبليس وأنفسهم التي هي بالسوء أمارات ... "^(٢) .

ومما يجلي حرصهم على مفارقة جماعة المسلمين تبرؤهم ممن خالفهم وتكفيرهم إياهم ، بل إن نافع بن الأزرق ، إضافة إلى حكمه على من خالفه من المسلمين بالشرك - فإنه أوجب على من اتبعه الهجرة إليه، ومن لم يهاجر إليه فإنه يجعله مشركاً ولو كان على رأيه^(٣) .

بل إن الأزارقة يجعلون تجمعهم بمثلة المهاجرين بالمدينة، ولا يسع أحداً من المسلمين التخلف عن الهجرة إليهم^(٤) .

فهذا الموقف وأشباهه يعكس حرص عامة الخوارج على التميز عن المجتمع المسلم والانفصال عنه حسياً أو معنوياً ، وهذا الحرص على التميز والانفصال ناشئ من نظرهم إلى غيرهم بتكفيرهم من خالفهم .

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب إثم من رأى براءة القرآن برقم ٥٠٥٧ ، ٥٠٥٨ .

(٢) البداية والنهاية ١٠/٥٨٠ - ٥٨١ .

(٣) انظر مقالات الإسلاميين ١/١٦٩ ، الفرق بين الفرق ص ٨٣ .

(٤) انظر مقالات الإسلاميين ١/١٧٣ .

وكما أن الخوارج فارقوا جماعة المسلمين فإنهم متفرون فيما بينهم . وكثرة التفرق والاختلاف من سمات أهل البدع الناشئة من اتباع الهوى ، والجهل بالشرع .

وقد كثر في الخوارج التفرق والاختلاف ، فتجد أنهم لأدنى سبب - يختلفون فيفترقون .

ومن ذلك أن أصحاب نجدة بن عامر نقموا عليه بعض أقواله فاستتابوه فلما أعلن توبته ندم بعضهم على استتابته وقالوا له : إن استتابتنا إياك خطأً، لأنك إمام ولك الاجتهاد ، وقد تبنا ، فإن تبت من توبتك واستتبت الذين استتابوك وإلا نابذناك ، فخرج إلى الناس فتاب من توبته ، فلما فعل ذلك افترق عليه أصحابه وخلعه أكثرهم^(١) .

ومما يبين كثرة تفرق الخوارج أنهم بدؤوا بتجمع واحد وهم المحكمة الأولى، ثم بدا الاختلاف والتفرق فيهم حتى ذكر كتاب المقالات وأحصوا منهم أكثر من عشرين فرقة^(٢) .

المبحث العاشر : الجرأة والشجاعة:

عُرِفَ عن الخوارج شجاعتهم وإقدامهم وبسالتهم في القتال، حتى إنهم سموا أنفسهم " الشراة " لأنهم يزعمون أنهم شروا أنفسهم في طاعة الله، أي باعوها بالجنة^(٣) ، وقد وصفهم ابن كثير بقوله :

(١) انظر مقالات الإسلاميين ١٧٦/١ ، الفرق بين الفرق ص ٨٩ ، الملل والنحل ١٢٤/١ .

(٢) انظر مقالات الإسلاميين ١٦٧/١ - ٢٠٢ ، والفرق بين الفرق ص ٧٤ - ١١٠ ، والملل والنحل ١١٥/١ - ١٣٧ .

(٣) انظر مقالات الإسلاميين ٢٠٧/١ .

"... فيهم شجاعة وثبات وصبر ، وعندهم أنهم متقربون بذلك إلى الله عز وجل، فهم قوم لا يُضْطَلَّى لهم بنار ولا يطمع أحد في أن يأخذ منهم بثأر .
وبالله المستعان " (١) .

وقد كثر تنادي الخوارج بالرواح إلى الجنة ، وطلب الموت بترال الأعداء
وسطروا في ذلك الخطب والأشعار ، ومن ذلك ما قاله مرداس بن أدية فيهم:

فلسنا إذا جمّت جموع عدونا	وجاؤوا إلينا مثل طامية البحر
نكف إذا جاشت إلينا بحورهم	ولا بمهايب نخيد عن البتر
ولكننا نلقى القنا بنحورنا	وبالهام نلقى كل أبيض ذي أثر
إذا جشأت نفس الجبان وهلت	صبرنا لها ، ولو كان القيام على الجمر ^(٢)

ويشهد لشجاعتهم التي قد توصف بالتهور تاريخهم الطويل المليء بالثورات
المسلحة والحروب المتواصلة ، والتي يكونون في كثير منها غير مكافئين لعدوهم
في العدد ولا في العُدّة^(٣) .

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٥٨٢/١٠ .

(٢) الخوارج في العصر الاموي ص ٢٦٠ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ١٠٨ - ١٨٤ ، والخوارج للدكتور غالب عواجي ص ١٢٥ - ١٦٠ .

الخاتمة :

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد :
فقد تبينَ من خلال المباحث السابقة جملة من صفات الخوارج التي تميزهم
وتظهر فساد منهجهم وسبب انحرافهم وضلالهم .
و تبينَ كيف كان الجهل والهوى سبباً في الزيغ عن الهدى المستقيم، والسعي
في حصول الفتن على المسلمين، مَهْماً تسربل صاحبه بالعبادة والورع والدفاع
عن الدين .

كما تأكد مما سبق ضرورة التفقه في الدين وربط الأقوال والأفعال بضوابط
النصوص الشرعية والمصالح المرعية ، بعيداً عن العواطف الهائجة والممارسة
الطائشة التي تعمي وتصم وتردي وتضل .
أسأل الله تعالى أن يفقه المسلمين في دينهم ويصرف عنهم الشرور وسوء
الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن ينصر دينه، ويعلي كلمته، إنه على كل شيء
قدير .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فهرس المصادر والمراجع :

- ١- الاستقامة ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق د. محمد رشاد سالم ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- ٢- البداية والنهاية ، للحافظ ابن كثير ، تحقيق د. عبد الله التركي ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ دار هجر .
- ٣- تاريخ الأمم والملوك ، لأبي جعفر بن جرير الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ .
- ٤- الجامع الصحيح للإمام البخاري، نشر دار السلام ، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ
- ٥- الخوارج : تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية ، د. غالب عواجي ، الطبعة الأولى ١٤١هـ . مكتبة السنة بدمنهور.
- ٦- الخوارج في العهد الأموي ، د. نايف معروف ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦هـ ، دار الطليعة ، بيروت .
- ٧- السنة، للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، نشر المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ .
- ٨- سنن ابن ماجه ، نشر دار السلام ، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ .
- ٩- السنن لأبي داود ، نشر دار السلام ، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ .
- ١٠- السنن للإمام الترمذي ، نشر دار السلام ، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ .
- ١١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ١٢- الفرق بين الفرق ، عبد القادر البغدادي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت .
- ١٣- الفرقان بين الحق والباطل ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم ، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ .

- ١٤- الكامل في التاريخ ، لعللي بن محمد بن الأثير ، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ ، الناشر دار الكتاب العربي ، بيروت .
- ١٥- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم ، الطبعة الأولى ١٣٨١هـ ، الرياض .
- ١٦- المستدرك على الصحيحين ، لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، مع تلخيصه للذهبي ، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، دار الفكر .
- ١٧- مسند الإمام أحمد ، الطبعة الأولى ١٣٨٩ ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، دار صادر بيروت ، والطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ، من نشرة دار الرسالة .
- ١٨- المعجم الكبير ، للحافظ أبي القاسم سليمان الطبراني ، تحقيق حمدي السلفي ، نشر وزارة الأوقاف بالعراق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ .
- ١٩- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن الأشعري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ ، نشر مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة .
- ٢٠- الملل والنحل ، لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، تحقيق محمد سيد الكيلاني ، دار المعرفة بيروت .
- ٢١- مناهل العرفان في علوم القرآن ، تأليف محمد عبد العظيم الزرقاني ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، الطبعة الثالثة .
- ٢٢- منهاج السنة النبوية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق د. محمد رشاد سالم ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .